قراءة

والتر بنيامين لأنّ حزني من مغادرة برلين لن يتركني

مسودات العالم الداخلي للفكرة

يُظهر الكتاب المُصوَّر، الذي اصدرته «أكاديمية الفن» في برلين من اوراق الناقد والكاتب الالماني، حالات يعيشها ممارسو الكتّابة، كعجز صياغة جملة، او صعوبة تجميع الافكار، او ما يتمّ حذفه، او التلميحات والاشارات والاشخاص التي تكشف العالم الداخلي للفكرة

دارا عبدالله

منذ حوالي عشرين عامًا، تم الانتهاء من طباعة كلّ الرسائل التي كتبها الكاتب الألماني فالتر بنيامين (1892-1940). وجمعت في ستة مجلّدات. في العام الماضي، قامت «أكاديمية الفن» في برلين بنشر كتاب مصوّر من أرشيفها، يحتوي على مسودات بنيامين الشخصية، والتي لم ينشرها في فترة حياته. يتضمّن الكتاب المصوّر حوالي مئتي نص، وإذا جعلنا الفهم معيارًا، يمكن تقسيمها إلى نوعين من النصوص: مفهومة وغير مفهومة. النصوص المفهومة هي الرسائل التي استُلمت، والمقاطع عن أحداث مؤرّخة في أمكنة وأزمنة محددة، ومسوّدات المقالات القريبة من المقالات، والأفكار في مراحل نضجها الأخيرة. أمّا غير المفهومة فهي الأرقام الغامضة، والأحداث غير المؤرّخة، والرسائل التي لم تُستلَم، والجمل القلقة المليئة بالأخطاء الإملائيّة، والافتراضات غير المترابطة، والكلمات التي بقيت الغازًا، والسطور الغامقة التي تمّ الشطب عليها بعزم لتصبح غير مقروءة.

في القسم المفهوم، المواكبة الزمنية واضحة مع الأفكار التي نشرها بنيامين فعليًا في مقالاته وكتبه. المقاطع التي تتحدّث عن مفهوم «سياسة الأدب» مثلًا متوافقة زمنيًا مع الفترة التي نشر فيها مقالات في نظرية النقد الفني. يدعم بنيامين في مسوّداته غير المنشورة نقده المعروف لممارسة «سياسة الأدب»، من خلال الإشارات إلى تنازلات شخصيّة قدّمها هو بنفسه تماشيًا مع اعتبارات سياسيّة. تنازلات لم يكن ليقدّمها لولا الضائقة الاقتصادية التي عاشها خلال سنوات المنفى، وهو هارب من الحزب القومي الاشتراكي العمالي في ألمانيا. ولكن الرقم 13، الوارد في إحدى المسودات، لا يمكن فهمه أبدًا. لن يلاحق أحد رقمًا ربمّا يدل إلى شقة في شارع او أعداد جثث أو موعد طبيب.

يظهر الكتاب المُصوّر حالات يعيشها ممارسو الكتّابة، كعجز صياغة جملة أمام الورقة البيضاء، او صعوبة تجميع الأفكار، أو ما يتمّ حذفه والتخلّي عنه، أو التلميحات والإشارات والأشخاص التي تكشف العالم الداخلي للفكرة. في إحدى صفحات الكتاب المصوّر توجد عبارة غامضة تقول: «من الشيء الثاني إلى الشيء الثالث»، والتي كتبها بنيامين بالتزامن مع اشتغاله حول مفهوم «هالة» العمل الفني (Aura). من أين يأتي الربط بالضبط بين عبارة «من الشيء الثاني إلى الشيء الثالث» في الكتاب المصوّر، ومفهوم «الهالة» في نصّه المشهور حول الأمر عام 1935، والذي أحدث تأثيرًا مدويًا في عالم الفن المعاصر.

لفهم الربط، لا بدّ من شرح بعض الأفكار الواردة في الفصول الأولى من المجلّد الأوّل لكتاب «رأس المال» لماركس. عند ماركس، القيمة الاستعمالية هي الشيء داخلًا في طور الاستهلاك. القيمة الاستعمالية للقلم مثلًا هي الكتابة، والقيمة الاستعمالية للسلاح هي القتل والترهيب. القيمة الاستعمالية هي الخاصيّة الاستخدامية المباشرة للشيء. أمّا القيمة التبادلية فهي الشيء داخلًا في طوري البيع والشراء. تنتقل القيم الاستعماليّة من مالك إلى مالك عن طريق القيمة التبادليّة. تاريخيًا، في المقايضات البسيطة كانت القيمة التبادلية هي بيوض الدجاج أو رؤوس الماشية، وأحيانًا، ولا توجد بنية اجتماعية بدون الاتفاق على قيمة تبادليّة. وإذا استدعى الأمر، «العبيد يصبحون نقدًا» كما يقول ماركس. القيمة التبادلية الموحّدة، أي المال بشكله الحالي، هو الشكل التاريخي الأكثر تطوّرًا للقيمة.

إذًا، يمكن أن يمتلك الشيء قيمتين: استعمالية أو تبادلية.

بناء عليه، يحصر ماركس الشيء وجوديًا في ثلاث حالات فقط. في الحالة الأولى، يمتلك الشيء قيمة استعمالية من الطبيعة، كالأرض البكر والمراعي الطبيعية والمياه الجوفية، ولكنه لا يمتلك قيمة تبادلية، لأنّه ليس نتاج عمل بشري، بل هو موجود مسبقًا من الطبيعة. في الحالة الثانية، يمتلك الشيء قيمة استعمالية، لكنها تلبي فقط حاجة فرديّة لشخص معيّن، ولا تلبّي أي حاجة اجتماعيّة مشتركة. الشيء في الحالة الثانية لا يمتلك قيمة تبادليّة، لأنّ قابلية الشيء للتبادل تتطلب تلبيته لحاجة اجتماعية مشتركة. تلبية الحاجة الفرديّة لا تكفي. الشيء الثالث هو عمل اجتماعي، كالهواتف المحمولة والثياب والسيارات. يوجد الشيء إذًا في ثلاث حالات: من الطبيعة وبدون عمل بشري في الحالة الأولى، ومن عمل بشري فردي في الحالة الثانية، ومن عمل بشري اجتماعي في الحالة الثالثة. يسمّي ماركس الشيء في الحالة الثالثة بـ «السلعة» Die Ware، وهي «الخلية الأوّلى في جسد النظام الرأسمالي». بالمناسبة، «رأس المال» هو دراسة التناقض بين القيمتين الاستعمالية والتبادلية داخل هذه «الخلية الأولى».

الآن يتوضّح أكثر غموض عبارة بنيامين: «من الشيء الثاني إلى الشيء الثالث». العبارة الحادة في السؤال الخفي في نصه حول مفهوم «الهالة». إذا كان العمل الفني، بحسب ماركس، شيئًا لا يمتلك قيمة تبادليّة، كيف تحوّل إذًا في ظل النظام الرأسمالي إلى سلعة لها قيمة محددة، وأحيانًا مفتوحة على اللانهاية في المزادات؟ وكأنّ العمل الفردي الموجود في المنجز الفني يصبح عملًا اجتماعيًا، وكأنّ الشيء الثاني يصبح الشيء الثالث. الكتاب المصوّر يكشف أيضًا بعض المآسي والأسرار الشخصية. ثمّة مسودة رسالة يبدو أن بنيامين شقها من المنتصف مكتوبة عام 1917 وموجّهة إلى والديه. الرسالة مكتوبة بروح مرحة ولا تحتوي على أي محاولة تشطيب. في رسالة أخرى، شبه مشطوبة بالكامل، مكتوبة عام 1936، ثمّة بعض الجمل القابلة للقراءة بصعوبة. في تلك الفترة، كان بنيامين يعاني من صعوبات مالية، إذ تتضمن الرسالة عبارات مثل: «اتمنى أن تبقيني على رأس عملي». والجهة المُخاطبة مجهولة. تكشف رسالة أخرى أنّ بنيامين الذي نشر كتابًا عن الحشيش، مارس لعبة القمار أيضًا أثناء زيارته موناكو، وتحديدًا كازينو «مونتي كارلو» التاريخي. يلمّح الكاتب الذي ولد في برلين عام 1892 إلى الحادثة بلغته الخاصة: «لعبت براحة بال، لأنّ حزني من مغادرة برلين لن يتركني».

(كاتب سوري مقيم في برلين)

مسودات تواكب الأفكار التي نشرها في مقالاته وكتبه

يكشف الكتاب بعض المآسي والاسرار الشخصية في حياته

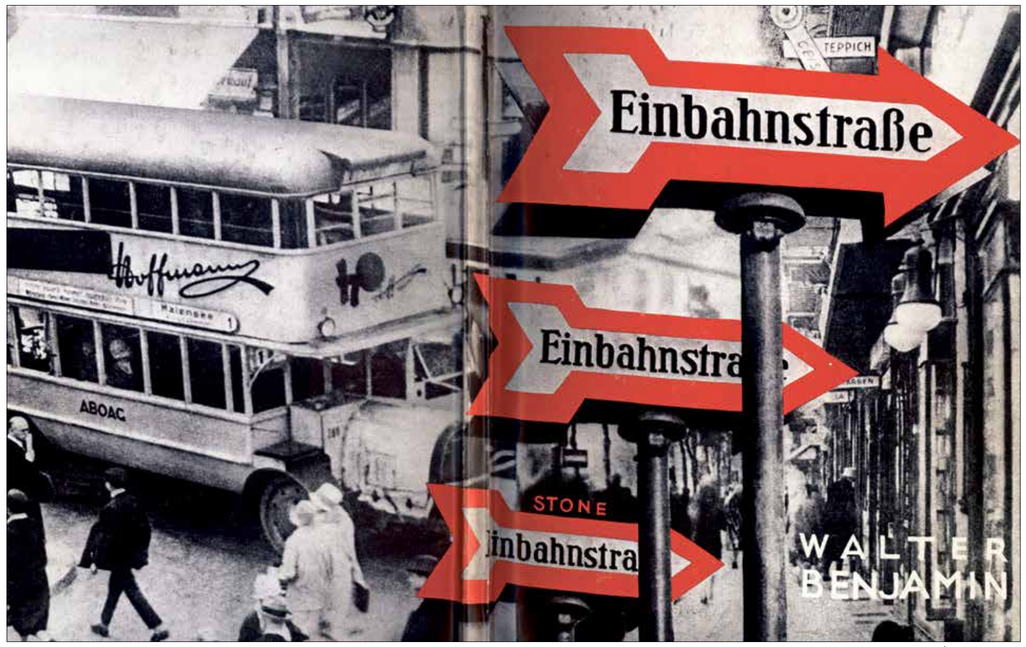

من غلاف كتاب «شارع باتجاه واحد» لـ والتر بنيامين (Getty)

مغادرة الصوت

عاش والتر بنيامين قصّة حب صامتة مع فتاة الحانية - روسية اسمها اولغا باريم، والتي رفضت عروضه للزواج. يقول في رسالة كتبت قبيل انتحاره بدون اي عنوان او انّ إشارة الى اي اسم: «إذا خادر صوتك سيلتذّ الحبل ويُقصّع جسدي». في ايلول/ سبتمبر 1940، انتحر بنيامين في جبال البرانس على الحدود الفرنسية الاسبانية، خوفًا من الوقوع في قبضة النازيين، بدون انْ يرسل هذه الرسالة إلى باريم، وتوفّيت باريم دون ان تقراها.

رحيل

آدم زاغاييفسكي عودةٌ أخيرة إلى لُفوف

شعرٌ استضاف السياسة والآخرين

كان الشاعر البولندي، الذي غادرنا يوم الاحد الماضي عن خمسة وسبعين عاماً (1945 - 2021)، من ابرز اسماء جيله من شعراء «الموجة الجديدة»

وارسو ـ العربي الجديد

قبل أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، كان آدم زاغاييفسكي معروفاً في بولندا، وفي بعض الأجواء الشعرية والأكاديمية في فرنسا والولايات المتّحدة الأميركية، كواحد من أبرز شعراء الجيل الشعري الجديد في بلده. ذلك الجيل الذي حمل، بدءاً من عام 1968، اسم «الموجة الجديدة»، وهي حركة سيصبح زاغاييفسكي، الذي غادرنا يوم الأحد الماضي عن خمسة وسبعين عاماً (1945 - 2021)، أيقونتها في العقدين الأخيرين من حياته.

عندما بدأ آدم زاغاييفسكي الكتابة والنشر (أصدر قصيدته الأولى، «موسيقى»، عام 1967)، كان أمامه وأمام أبناء جيله قاماتٌ من الشعراء البولنديين المعترَف بأعمالهم حتّى خارج بولندا، بل خارج أوروبا، مثل تشيسلاف ميلوش وزبيغنيو هربرت، ومن بعدهما فيسوافا شيمبورسكا. وإن كان هذا الجيل السابق منقسماً في نظرته إلى العلاقة بين الكتابة الشعرية والنشاط السياسي، وإلى دخول الوقائع السياسية المباشرة إلى القصيدة، فإنّ شعراء «الموجة الجديدة» وجدوا أنفسهم في صلب ظروف سياسية واجتماعية لم يكن معها ممكناً للقصيدة أن تتجنّب الواقع ومسائله. هكذا، صار الشعر، عند زاغاييفسكي ورفاقه في الحركة الأدبية الجديدة، شكلاً للتعبير عن الأحداث اليومية، ولرفض القمع الذي أطبقه الحكم الشيوعي على البلد. ورغم الانخفاض النسبيّ في هذا القمع في سبعينيات القرن الماضي، إلّا أنّ المثقّفين سيبقون غرضاً مفضّلاً للمنع وللملاحقة والتوقيف. هكذا، سيجد زاغاييفسكي، الممنوع عن النشر في بلده بدءاً من 1976، تاريخ توقيعه ما بات يُعرف بـ «رسالة الـ59» ـ نفسه من بين عشرات الكتّاب والمفكّرين الذين رأوا أنفسهم مجبرين على اللجوء إلى بلدان في أوروبا الغربية، أو إلى الولايات المتّحدة، بسبب الضغط السياسي في بلدهم. في هذا الوقت، كان الشاعر المولود في مدينة لُفوف (الواقعة حالياً في أوكرانيا) قد أصدر مجموعتيه الشعريّتين الأوليين، «تواصُل» (1972) و«مَحال قصابة» (أو «محال جزارة»، 1976)، وحاز واحدةً من أرفع الجوائز في بلده للكتّاب الشباب (ما دون الأربعين عاماً): الجائزة الأدبية التي تمنحها «مؤسّسة كوتشيلسكي». وقد جاء شعره، في هذه المرحلة، غاضباً وفوّاراً، كما لاحظ ذلك الشاعر العراقي الراحل فوزي كريم في مقال قديم له حول زاغاييفسكي. يمكن العثور على هذه النبرة في أبيات مثل الباب/ وأرخ الحبال/ حرّر النفس من شبك الأعصاب/ وقل الحقيقة، تلك التي تتطلع إليها/ بيدك اليسرى امسكْ بالحب/ وباليمنى الكراهية».

بعد مرور بالولايات المتّحدة، حيث درّس عدّة فصول في جامعة هيوستن، في تكساس، سينتقل الشاعر البولندي إلى باريس بدءاً من عام 1982، التي سيعرف، انطلاقاً منها، اتّساعاً لشهرته، خصوصاً مع حصوله على عدد من الجوائز، مثل «جائزة توتشولسكي» السويدية (1985) وجائزة «نادي القلم الفرنسي» (1987)، ومن ثم «جائزة فيلينيكا» البولونية للآداب (1996). وسيُتَوَّج هذا الاعتراف بضمّه إلى «أكاديمية برلين للفنون» عام 1999. أصدر الشاعر خلال هذه المرحلة العديد من الدواوين والمجموعات النثرية والمحاولات، التي تُرجم بعضُها إلى العديد من اللغات الغربية، مثل ديوانيه «الصعود إلى لُفوف» (1985) و«ظمأ» (1999)، وكتابي المحاولات «التعاضد والغُرْلة» (1986) و«في جَمال شخصٍ آخر» (1998).

العربية لم تكن بمعزل عن اللغات التي استقبلت بعضاً من اشتغالات زاغاييفسكي، وإن لم يصدر له فيها أيّ كتاب مترجَم. لكنّ عدداً من قصائده عرفت طريقاً عبر منشورات صحافية متفرّقة، خصوصاً ما نشره منها الشاعر والمترجم العراقي من البولندية، هاتف جنابي، وما نقله من الإنكليزية الكاتب العراقي سنان أنطون. في هذا البعض القليل من النصوص المترجمة، يمكن لنا الوقوف على نصوص لشاعر منهمك بالعالم، يفتح قصيدته لاستقبال شعراء آخرين، وثقافات أخرى. يترجم له هاتف جنابي: «قرأتُ قصيدة صينية/ مكتوبة قبل ألف عام/ يتحدث فيها المؤلف عن المطر/ المتساقط طوال الليل/ فوق سطح زورق خيزراني/ وعن الهدوء الذي حلّ/ بقلبه أخيراً/ هل من قبيل الصدفة/ أن يحلّ ثانية نوفمبرُ والضبابُ/ والغسقُ الرصاصي؟».

رحل الشاعر البولندي بعد حضور شعري على مستوى العالم

سيعرف الشاعر الراحل شهرةً كبيرة إبّان التغطية الإعلامية لهجَمات 11 أيلول/ سبتمبر، حيث ستنشر مجلّة «نيويوركر» قصيدةً له حول هذه التفجيرات، في الصفحة الأخيرة من عددها الخاصّ الذي وضعته حولها. عرفت القصيدة تداولاً كبيراً. وفي السنوات الأخيرة، عرف اسم زاغاييفسكي أضواءً جديدة، ولا بدّ أن اشتغالاته وصلت إلى دوائر جديدة من القرّاء، لا سيّما بعد نيله عدّة جوائز أوروبية مرموقة، كان آخرها «جائزة أميرة أستوريا» الإسبانية (2017).

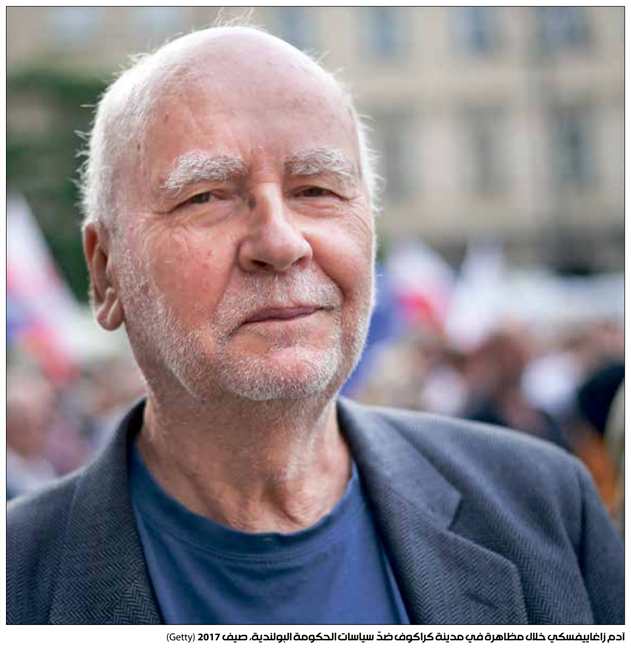

آدم زاغاييفسكي خلال مظاهرة في مدينة كراكوف ضدّ سياسات الحكومة البولندية، صيف 2017 (Getty)

معرض

في انتظار عمر قتلاتو تنويعات على الجسد والذات

أكثر من لون جزائري

يقدّم المعرض الجماعي، المقام حتى منتصف أيار/ مايو المقبل في مرسيليا الفرنسية، نظرة مجملة إلى أحوال وتطوّر الفنّ الجزائري المعاصر

مرسيليا ـ العربي الجديد

ما الذي يجمع بين فيلم المخرج الجزائري مرزاق علواش، «عمر قتلاتو» (1976)، ومسرحية الكاتب الإيرلندي صمويل بيكيت، «في انتظار غودو» (1952)؟ قد تكون الإجابة الأولى عن سؤال كهذا موجودة عند الحقوقية والكاتبة الجزائرية وسيلة تمزالي (مواليد 1941)، التي أرّخت، عام 1979، لبدايات السينما الجزائرية بكتاب منحتْه عنوانَ «في انتظار عمر قتلاتو»، والذي التقطت فيه تعبيراً عن حالة السينما الجزائرية في التقاطع بين بطل فيلم علواش، السوريالي والساخر، وبين بطل مسرحية بيكيت، العبثيّ أو حتّى غير الموجود.

هذا الجمع الذي قامت به تمزالي في كتابٍ لم يعد من السهل العثور عليه في أيّامنا هذه، يستعيدُه اليوم منظّمو المعرض الجماعي «في انتظار عمر قتلاتو: نظرة على الفنّ في الجزائر ومهجَرها» في مركز «لا فريش» بمدينة مرسيليا، جنوب فرنسا. المعرض الذي انطلق في شباط/ فبراير الماضي يستمرّ حتى السادس عشر من أيّار/ مايو المقبل، ويضمّ أعمالاً لتسعة وعشرين فنّاناً جزائرياً أو من أصول جزائرية، تغطّي أكثر من خمسة عقود من الإنتاج الفنّي الجزائري: من 1965 حتّى يومنا هذا.

الإحالة إلى فيلم علواش جاءت، بحسب منظّمي المعرض، بوصفه أوّل شريط سينمائي جزائري «يركّز على التجربة الفرديّة في التحرّر واكتشاف الذات»، وباعتباره المثال الفنّي الذي يمكن، من خلاله، قراءة الأعمال التي يضمّها المعرض، والتي تشترك في «السخرية السوريالية» و«إيلاء أهمّيّة كبيرة للجسد ولازدواجية الشعور بالانتماء»، بحسب بيان لهم. أعمالٌ تنتمي إلى حقول فنّيّة مختلفة (تشكيل وتجهيز وفيديو وغيرها) وتتناول ثيمات شديدة التفاوت: من الوحدة التي تعيشها شخوص جمال طاطاح، التي تتوسّط لوحات بخلفيّة من لون واحد، بارد في الأغلب، إلى المناظر الطبيعية المحتشدة بألوان الحارة والعناصر، كما هو الحال في أعمال باية، مروراً بفيلم حسن فرحاني وصوَره حول مليكة، تلك المرأة التي تعمل في منتصف الصحراء، نحو 1000 كيلومتر جنوب الجزائر العاصمة، وليس انتهاءً بشريط سارة صادق، الذي تجمع فيه الرسوم بين المتحرّكة والعاب الفيديو، في عمل يُحاول تفكيك الذكورية السائدة.

في جملة، يمنح معرض «في انتظار عمر قتلاتو» تلك النظرة التي يعد بها الجمهور حول أحوال وتطوّر الفنّ الجزائري المعاصر؛ إذ يجمع أعمالاً من مختلف الحقول ولفنّانين مثّلوا أغلب أجيال الفنّ الجزائري المعاصر، من محمد خدّة (1930 - 1991) وباية (1931 - 1998) وعبد الله بن عنتور (1931) ومحمد أكسوح (1934)، إلى جيل محجوب بن بلّة (1946 - 2020) وهلال زوبير (1952) وجمال طاطاح (1956)، وصولاً إلى فنانين من جيل لاحق، مثل قادر عطية (1970) وفيصل بغريش (1972) ونوال الوزّاد (1980)، وآخرين من الجيل الأكثر شباباً، مثل حسن فرحاني (1986) وسارة صادق (1994).

يمكن قراءة الأعمال المشاركة انطلاقاً من فيلم مرزاق علواش

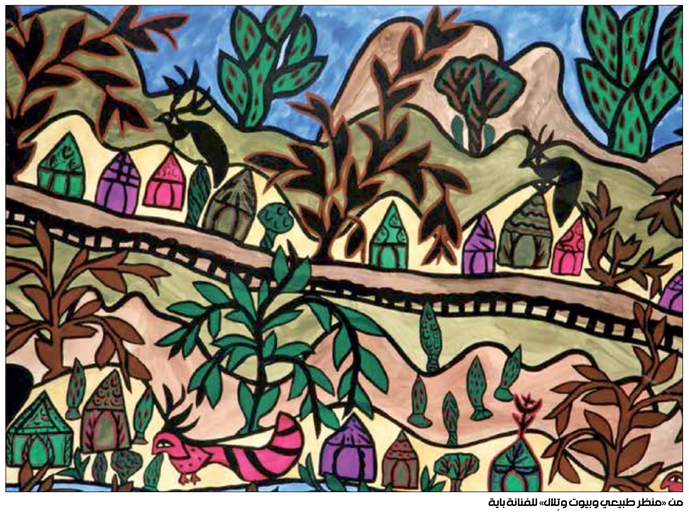

من «منظر طبيعي وبيوت وتلال» للفنانة باية

فعاليات

يقدّم المؤلّف الموسيقيّ التونسي **انور براهم** (الصورة) عرضًا موسيقيًا مساء اليوم الخميس ضمن تظاهرة **جاز فيست** في المجر. يقترح براهم منذ سنوات محاولةً في دمج آلة العود ضمن موسيقى الجاز. من ابرز مقطوعاته الموسيقية: «حلفاوين»، و«خطوة القط الاسود»، و«مقهى عسقلان»، و«فجر احمر في غروزني».

يُختتم اليوم الخميس **مؤتمر العلوم الاجتماعية والانسانية**، الذي ينظّمه **المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات** منذ الحادي والعشرين من الشهر الجاري. ويقام في اليوم الختامي حفل إعلان نتائج «الجائزة العربية لتشجيع البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية» بدءاً من الثالثة والنصف بتوقيت الدوحة. يُقام الحفل عن بعد ويُبثّ عبر منصّات على الإنترنت.

تنظّم مجموعة البحث **تفاعلات فينومينولوجية** (فرنسا)، غداً، ندوة علمية تحمل عنوان **تطبيقات المنهجية الفينومينولوجية**. تتضمّن الندوة محاضرتين ونقاشًا، في الاولى يتحدّث الباحث سيرسيه فو تضغلر عن «فينومينولوجيا ميكيل دوفرين»، وفي الثانية يتناول دان لي فلسفة موريس ميرلوبونتي (الصورة).

تتواصل حتى بعد غدٍ السبت، 27 آذار/ مارس الجاري، في **مدينة الثقافة** في تونس العاصمة، فعاليات **مهرجان ايام مسرح المدينة**. يقام اليوم عرضان؛ الاوّل بعنوان **عقاب جواب** لمحمد علي سعيد، والثاني بعنوان **ربع وقت** لسيرين قنون. من عروض المهرجان الاخرى: **الوجه والقفا** لحمادي المزي.